

نفحات القرآن

[384] ليؤمنوا ويسلموا أنفسهم للحق، إلا أنهم اعرضوا عن ذلك، فأنزل الله عليهم بأسه، فابتلاهم بمختلف المشاكل والمصائب والحوادث الصعبة، والفقر والمرض والقحط وغير ذلك، كي يوقظهم من غفلتهم، ولكي يخضعوا للحق، إلا أنهم اتخذوا السبيل المنحرف بدل سبيل الرشاد والرجوع الى الحق والتوبة. يقول القرآن في هذا المجال: لماذا لم يتضرعوا بالرغم من مجيء بأسنا لهم؟ ثم يعدّ أسباب هذا المر ويقول: الاول هو (قَسَّتْ قُلُوبُهُمْ) فما كادت تخضع للحق. والثاني هو: (وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، بحيث أصبحوا يرون المعاصي صواباً والقبح جمالاً، وقد نفذ الشيطان هنا من طريق عبادة لهوى. وبتعبير آخر: لم تؤثر فيهم لا مواعظ الانبياء اللفظية، ولا مواعظ الله العملية والتكوينية، وعامل هذا الحجاب هو قسوة القلوب من جهة، ومن جهة اخرى تزيين الشيطان لهم، بحيث سلب منهم روح التضرع والخضوع. هناك بحث بين المفسرين في المراد من "تزيين الشيطان"، فيقول البعض: انه الوسوس الشيطانية التي تبدو المحاسن فيها قبائحاً والقبائح فيها محاسناً، أو العوامل الخارجية التي تزين للانسان سوء أعماله، كما تجعل المواد السامة في غلاف مغر وجميل، وكما يدعى للانحرافات الكبيرة تحت غطاء التمدن والافكار النيرة والحررة. وتحدث الآية الثانية عن هدد سليمان عندما قدم من رحلته الى بلاد الملكة سبأ، فبعد حكايته لقصة سبأ وحضارة بلادها العظيمة قال: (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ). إن هذه الآية تكشف عن ان الهدد بالرغم من محدودية عقله وذهنيته